دراسة حديثية حديث (سجود الشمس تحت العرش) عرض دراسة

تاريخ تسليم المقالة: ٣ يناير ٢٠٢٠، ■ تاريخ تعديل المقالة ٢١ مايو٢٠٢٠ ، ■ تاريخ قبول المقالة ٢ يونيو٢٠٢٠
إيميل الباحث الرئيس: aljaby22@gmail.com

د. محمد مدهير جابي[١]

ملخص

تناول البحث حديثا من صحيح البخاري وهو حديث سجود الشمس لله سبحانه وتعالى تحت العرش، وتم دراسة الحديث من حيث الإشكال الوارد فيه ، وهو كيفية سجود الشمس تحت العرش؟ لأننا نراه على الدوام، ولا نراه يقف أبدا، فكيف يذهب ويسجد تحت العرش، ومتى، و نحن نراه في الأفق على الدوام ؟

تم عرض سند الحديث ومتنه من مصدره، ودراسة رجال الإسناد، ثم ذكر درجته والحكم على الحديث، ثم ذكر الإشكال الوارد في الحديث، وبعد ذلك دراسة الإشكال وتوضيح المشكل الوراد فيه ويختم بمجمل القول في المسألة. والله أعلم .

أهم الكلمات: الحديث ، سجود ، العرش.

[١]أستاذ مشارك بالجامعة الإسلامية بمينيسوتا الامريكية

Presentation and study of the Hadith of
(The Sun Performing Sujoud under the Arash)

Received: January 3, 2020; ■ Revised: May 21, 2020; ■ Accepted: June 2, 2020

Author E-mail: aljaby22@gmail.com

Mohamed Madihery Diaby[1]

Abstract

This research dealt with the conflicted Hadiths in Sahih Albokhary. The hadiths have been studied with regard of the Sannad and Maten of it, as well as the men of the Sannad and the level and evaluation of the Hadith. And the discussion is on how the sun will perform Sujoud under the Thrown (Al Arsh)? Because we always see the sun there, and it doesn't stop. So, how the sun will go to perform Sujoud under the Thrown and when will it happen. Then explain the conflict on the particular hadith and end it by giving the final comment on the topic.

Keyword: Al-Hadiths, Sujoud and Thrown (Al Arsh).

[1]Ph.D. Associate Professor, Islamic University of Minnesota. United State of America.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فعلم الحديث من أجل العلوم و أنفعها، والسنة هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة بعد كلام الله عز وجل، وقد حث النبي ﷺ أمته بالتمسك بسنته والعض عليها بالنواجذ فقال " عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ "(سنن أبي داود برقم ٤٦٠٩، ٤/ ٣٢٩). ولما انتشر الإسلام واتسعت رقعة المسلمين، كثر الكلام عن الحديث، ولم يفتأ أعداء الدين أن رموا السنة بالتناقض والخطأ، فوقف لهم علماء جهابذة دافعوا عن هذا الدين، بشرح السنة وتوضيح المشكل منها، لينفوا عنها تحريف المبطلين وانتحال الغالين وتأويل الجاهلين.

فألفوا كتبا في مشكل الحديث ومختلفه فجزاهم الله عنا خيرا

فنهجت نهجهم واقتفيت أثرهم في توضيح ما أشكل من الأحاديث فأسأل الله الإعانة في ذلك..

مشكلة البحث

ما المقصود بسجود الشمس تحت العرش؟ لأننا نراه على الدوام، ولا نراه يقف أبدا، فكيف يذهب ويسجد تحت العرش، ومتى، و نحن نراه في الأفق على الدوام ؟

أهداف البحث

١. العناية بأحاديث رسول الله ﷺ بيان الأحاديث المشكلة.

٢. دراسة حديث سجود الشمس تحت العرش، وتوضيح كيفيته، وبيان عدم معارضته للعقل والعلم.

٣. تبرئة السنة المطهرة من التناقض وذلك بإيضاح أن الحديث لا يعارض علم الفلك الذي يقول أن الشمس، ترى في كل وقت وأنها لا تتوقف عن الحركة.

٤. اقتفاء أثر السلف الصالح في الذب عن أحاديث رسول الله ﷺ

منهج البحث:

اختار الباحث حديث سجود الشمس تحت العرش، وقد جمع أقوال أهل العلم فيها من كتب مشكل الحديث ومختلف الحديث وغيرها، فقد كان هذا البحث: عن عرض ودراسة حديث "سجود الشمس تحت العرش ".

وقد قسمت البحث إلى مباحث وهي:

– ذكر الحديث سندا بذكر ترجمة الرواه ومن روى له ومن روى عنه وأختم برتبته عند ابن حجر في تقريب التهذيب والذهبي في ميزان الاعتدال.

– الإشكال الوارد في الحديث.

– دراسة الإشكال الوراد وبيانه.

– مجمل القول في هذا الإشكال.

أهمية البحث

فإن من أهم العلوم وأجلها علم الحديث لأنه ثاني مصادر التشريع في ديننا الحنيف، وإن الأمة اعتنت

بعلم الحديث منذ فجر التاريخ الإسلامي، وما هذا البحث إلا امتداد لهذا العلم الجليل.

وإن أهمية هذا البحث يتجلى في أمور عدة، منها أنه في علم مشكل الحديث، وهو لإيضاح ما أشكل على الناس من كلام رسول الله ﷺ ، وكذلك لأن هذا البحث في حديث مشكل، أو توضيح الإشكال فيه، فكان لزاما على أهل الحديث ايضاحه وتوضيح المشكل فيه، خصوصا أننا في زمن كثر فيه المشككون في هذا الدين وبالأخص في علم الحديث، وهنا يَتَجلى أهمية هذا العلم والله ولي التوفيق.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة شاملة في كتب مشكل الحديث ومختلف الحديث ومنها.

كتاب: شرح مشكل الآثار للإمام الطحاوي ،

رأى الإمام الطحاوي أن بعض نصوص الشرع بينها تعارض ظاهري بحيث إنها تبدو عند المقارنة بينها متناقضة، ولكن مرد هذا التناقض قد يكون لأن بعضها ينسخ بعضًا أو يخصصه أو يقيد مطلقه أو يكون أحد النصين المتعارضين ثابتا والآخر ليس كذلك...

فكانت همة المؤلف ترتكز على دفع هذا التعارض المتوهم، فبين ذلك بكافة الأساليب، ولكي ييسِّر على المنتفع بالكتاب الوصول إلى بغيته، فقد رتب الكتاب على الأبواب، والتي بلغت (١٠٠٢) وبدأ ذلك بـ: " باب ما قد روي عن رسول الله عليه السلام في أشد الناس عذابًا يوم القيامة."

وختم الكتاب بـ: " بيان مشكل ما روي عن رسول الله في نهيه عن الإقعاء في الصلاة ما هو؟ ولم يخصّه بنوع معيّن من الأحاديث، بل أودعه من الأحاديث التي رآها مشكلة خفيّة المعنى، سواء أكانت تلك الأحاديث في العقيدة، أو التفسير، أو الفقه, أو اللغة, أو الفضائل.. ويضع عناوين للأبواب التي يتكلم عليها فيقول مثلاً: " باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله عليه السّلام في إنزاء الحمير على الخيل، يُدرج تحت كلّ باب حديثين ظاهرهما التعارض مما يتضمّنهما العنوان الذي وضعه لهما، فيورد أسانيدهما، ويسرد طرقهما ورواياتهما، ثم يبسط القول في مواضع الخلاف فيهما، ثم يناولهما بالشّرح والبيان والتحليل، حتى تأتلف معانيهما، وينتفي عنهما الاختلاف ويزول التعارض. واشترط في التوفيق بين الحديثين المتعارضين أن يكون كل منهما في مرتبة واحدة من الصحّة والسّلامة، فإذا كان أحدهما ضعيفاً اطَّرحه وأخذ بالقويّ، لأن القوي لا يؤثر فيه معارضة الضعيف.

كتاب: تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة .

وقد جاء كتابه متناولاً خمسة أنواع من الأحاديث، وهي كالتالي:

١- الأحاديث التي ادُّعي عليها التناقض، وهو أكثرها.

٢- الأحاديث التي قيل فيها: إنها تخالف كتاب الله تعالى

٣- الأحاديث التي قيل فيها: إنها تخالف النظر وحجة العقل

٤- الأحاديث التي قيل فيها: إنها تخالف الإجماع
٥- الأحاديث التي قيل فيها: إنها يبطلها القياس

كتاب مشكل الحديث وبيانه لابن فورك.

هذا الكتاب خاص بأحاديث العقيدة المتعلقة بالأسماء والصفات، فأورد جملة منها زاعماً أن ظاهرها يوهم التشبيه والتجسيم، ثم ذهب يؤولها ويصرفها عن ظاهرها المراد منها، بما يتوافق مع مذهبه الأشعري، وكثيراً ما يصدر الحديث الذي يريد تأويله بقوله: (ذكر خبر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه)، ومن الصفات التي أوَّلها: اليد، والأصابع، والقدم ، والنزول، والضحك، والعجب ، والفرح ، والاستواء ، والعلو .وهو عبارة عن ثلاثة أقسام مرتبط بعضها ببعض.

فالقسم الأول أورد فيها أكثر من خمسة وسبعين حديثاً، مما يرى أن ظاهرها يوهم التشبيه، فأوَّلها وبين معناها من وجهة نظر أشعرية .

وأما القسم الثاني فهو للرد على ابن خزيمة في كتابه: (التوحيد) فأورد فيه عشرة أحاديث، يشترك بعضها مع القسم الأول، وأوَّلها كغيرها من أحاديث الصفات، وخطَّأ ابنَ خزيمة في حملها على ظاهرها مع نفي المماثلة، وقد بدأه بقوله: (فصل فيما ذكره ابن خزيمة في كتاب التوحيد) .

وأما القسم الثالث فقد خصّه للردِّ على أبي بكر أحمد بن إسحاق الصبغي صاحب ابن خزيمة، في كتابه: (الأسماء والصفات)، وقد عقد فيه أكثر من عشرين فصلاً في تأويل صفات الله تعالى، وابتدأه بقوله: "فصل آخر فيما ذكره الصبغي في كتاب الأسماء والصفات".

كتاب اختلاف الحديث للإمام الشافعي .

وقد جمع فيه الإمام الشافعي "رحمه الله" جملة من نصوص السنة المختلفة والمتعارضة في الظاهر، فأزال إشكالها ودفع التعارض عنها، وفق منهج علمي رصين، فيسلك سبيل الجمع إن أمكن، أو النسخ إن ثبت، أو الترجيح إن تعذر الجمع ولم يَثبت النسخ، وهذا المنهج هو ما التزمه الجمهور في دفع التعارض والتوفيق بين الأحاديث، ولكنه لم يقصد في هذا الكتاب استيعاب النصوص المتعارضة في السنة، وإنما قصد التمثيل وبيان كيفية إزالة التعارض بينها لتكون نموذجاً لمن بعده من العلماء. وغيرها..

كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي

ألف ابن الجوزي هذا الكتاب لشرح ما استُشكِل من حديث الصحيحين، معتمداً فيها على كتاب (الجمع بين الصحيحين) للحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الظاهري المتوفى سنة ٤٨٨). والذي رتبه مؤلفه على المسانيد، ممَّا جعل ابن الجوزي يسلك سبيله في هذا الترتيب، فجاء كتاب ابن الجوزي مرتباً على المسانيد، لا على الأبواب الفقهية، وهذا ما جعل الاستفادة منه صعبة وشاقة.

وقد أشار في مقدمة كتابه إلى السبب المباشر الذي حرَّك همته لتأليف هذا الكتاب، وهو أن سائلاً سأله ذلك، قال: "فأنعمت له، وظننت الأمر سهلاً، فإذا نيل سُهَيْلٍ أسهل"؛ لكن هذا الأمر لم يكن ليثني إرادته أو يوهن من عزيمته، يقول: "فلما رأيت طرق شرحه شاسعة، شمرت عن ساق الجَدِّ، مستعيناً بالله عز وجل...". (ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن . كشف المشكل من حديث الصحيحين، (٦/١). الرياض دار الوطن ١٩٩٧م)

كما أشار إلى أنه سيُعنى بكشف الإشكال المعنوي، لكون الحاجة إليه أمس، والعناية به أجدر وأحق، خاصةً وأن الحميدي قد ألف كتاباً في شرح غريب مفردات أحاديث الصحيحين فسدَّ هذه الثغرة.

ومن المؤلفات الحديثة كتاب " أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح " لسليمان بن محمد الدبياخي .

ومنهجه :

قام بتتبع الأحاديث التي ظاهرها التعارض في الصحيحين مما يتعلق بالعقيدة ، ثم ميز كل أحاديث مسألة على حدة . وقسم الأحاديث بحسب المسائل التي تعارضت فيها تلك الأحاديث ظاهرا إلى أبواب وفصول، يبدأ بذكر الحديث ثم بيان وجه التعارض ، ثم مذهب الجمع بين الأحاديث ثم مذهب الترجيح ، ومن ثم مذهب التوقف وعدم التعرض للحديث بشيء .

دراسة حديث "سجود الشمس تحت العرش" (عرض ودراسة)

المبحث الأول : الحديث

قال الإمام البخاري رحمه الله : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}.

تخريج الحديث:

رواه البخاري (١١٧٠/٣) رقم الحديث (٣١٩٩), وأيضا في (١٧٠٦/٤) رقم الحديث (٤٥٢٤), والنسائي في السنن الكبرى (٢٢٩/١٠), ورواه أحمد (١٥٢/٥-١٥٨-١٧٧) رقم الحديث (٢١٣٠٠) و (٢١٣٥٢)

تراجم الرجال:

١-الاسم: محمد بن يوسف الفريابي ، أبو أحمد البيكندي ، و يقال الباكندي

الطبقة: ١٠: كبار الآخذين عن تبع الأتباع

روى له: خ (البخاري)

رتبته عند ابن حجر: ثقة فاضل. رتبته عند الذهبي: أحد الأثبات ميزان الاعتدال

أحد الاثبات

٢–الاسم : سفيان بن عيينة بن أبي عمران : ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، المكي مولى محمد بن مزاحم (أخو الضحاك بن مزاحم)

المولد: ١٠٧ هـ . الطبقة: ٨ : من الوسطى من أتباع التابعين

الوفاة : ١٩٨ هـ بـ مكة

روى له : (البخاري – مسلم – أبو داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه)

رتبته عند ابن حجر : ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة و كان ربما دلس لكن عن الثقات ، تقريب التهذيب ٢٤٥١(١/٢٤٥) رتبته عند الذهبي : أحد الأعلام ، ثقة ثبت حافظ إمام. ميزان الاعتدال ٣٣٢٧(٢/١٧٠)

٣–الاسم: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش المولد: ٦١ هـ . الطبقة: ٥: من صغار التابعين، الوفاة : ١٤٧ أو ١٤٨ هـ

روى له : (البخاري – مسلم– أبو داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه)

رتبته عند ابن حجر : ثقة حافظ عارف بالقراءات ، ورع ، لكنه يدلس تقريب التهذيب ٢٦١٥ (١/ ٢٥٤)

رتبته عند الذهبي: الحافظ ، أحد الأعلام ميزان الاعتدال ٣٥١٧ (٢/٢٢٤)

٤–الاسم: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، أبو أسماء الكوفي (من تيم الرباب)

المولد : ١٥٢ هـ . الطبقة : ٥ : من صغار التابعين ،الوفاة : ١٩٢ هـ

روى له : (البخاري – مسلم – أبو داود– الترمذي – النسائي – ابن ماجه)

رتبته عند ابن حجر: ثقة إلا أنه يرسل و يدلس تقريب التهذيب ٢٦٩(١/ ٩٥).

رتبته عند الذهبي: كان رأسا في العلم ميزان الاعتدال ٢٥١ (١/ ٧٤)

٥–الاسم: يزيد بن شريك بن طارق التيمى، تيم الرباب ، الكوفي

الطبقة: ٢ : من كبار التابعين . الوفاة: في خلافة عبد الملك

روى له : (البخاري – مسلم – أبو داود – الترمذي – النسائي– ابن ماجه)

رتبته عند ابن حجر : ثقة . تقريب التهذيب ٧٧٢٩ (٢/٦٠٢) رتبته عند الذهبي : ثقة ميزان الاعتدال ٤٥٤٤ (٤/٧٤)

٦–الاسم : أبو ذر الغفاري ، اسمه جندب بن جنادة (على الأصح)

الطبقة : ١ : صحابي . الوفاة : ٣٢ هـ بـ الربذة

روى له : (البخاري – مسلم – أبو داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه)

رتبته : صحابي(قال النبي ﷺ:" مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ ، وَلاَ أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ.) سنن ابن ماجة . برقم ١٥٦ (١٠٨/١) الحديث صحيح رواته ثقات ، ورواه البخاري .

المبحث الثاني : المشكل في الحديث

ما المقصود بسجود الشمس ؟ لأننا نراه على الدوام ، ولا نراه يقف أبدا ، فكيف يذهب ويسجد و نحن نراه ؟

المبحث الثالث : توضيح الإشكال

ولمعرفة المراد من هذا الحديث والإشكال الوارد فيه لابد لنا أن نعلم أولاً معنى السجود الوارد في الحديث ولفظ الغروب والتعقيب عليه بلفظ الذهاب وحرف "حتى" الدال على الغاية والحد والقول في عرش الرحمن سبحانه وتعالى.

المسألة الأولى: معنى لفظ السجود الوارد في الحديث ، و قد يتوهم البعض من معنى السجود توافر الأعضاء والأطراف التي في بني آدم لتحقيق السجود بالنسبة للشمس ولا يلزم هذا كما هو معلوم. وبهذا يكون قد التبس عليه المعنى الاصطلاحي الذي يستعمله الفقهاء في شرحهم لكيفية السجود في الصلاة بالمعنى اللغوي الذي هو أوسع دلالة وأكثر معنى مما دل عليه الاصطلاح.

ومن معاني السجود في اللغة الخضوع كما ذكره ابن منظور وغيره. وعليه يُحمل ما في هذا الحديث وهو المقصود في قوله تعالى في آية الحج:" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ الحج آية ١٨

قال ابن كثير رحمه الله :" يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به" ا.هـ. ابن كثير : إسماعيل بن عمر القرشي [٧٠٠ – ٧٧٤ هـ]:. تفسير القرآن العظيم المشهور بـ (تفسير ابن كثير) (جـ٥/ صـ٤٠٣) وعليه فسجود الشمس مما يختص بها ولا يلزم أن يكون سجودها كسجود الآدميين كما أن سجودها متحقق بخضوعها لخالقها وانقيادها لأمره وهذا هو السجود العام لكل شيء خلقه الله كما في آية الحج السابقة إذ كل شيء من خلق الله تعالى يسجد له ويسبح بحمده ، قال تعالى في آية النحل:" وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ " النحل اية (٤٩)

والشمس داخلة في دواب السماء لأن معنى الدبيب السير والحركة والشمس متحركة تجري لمستقر لها كما هو معلوم بنص القرآن وكما هو ثابت بالعقل من خلال علوم الفلك المعاصرة إذ أنها تدور حول نفسها ويسمون ذلك التفافا وهو دوران الشيء حول نفسه وذلك في خلال سبعة وعشرين يوما أرضيا وتدور (مع المجموعة الشمسية) حول مركز المجرة اللبنية بسرعة تقترب

من ٢٢٠ كيلومترا في الثانية. وكل في فلك يسبحون. الوسطية في كل شيء عبدالعزيز العمراني صـ ١٢٧

ولكن لو قال قائل:"هل تنتفي صفة السجود عن الشمس إذا كانت لا تسجد إلا تحت العرش فلا تكون خاضعة إلا عند سجودها تحت العرش وفي غير ذلك من الأحايين لا تكون؟ فالجواب أن الشمس كما قدمنا لها سجدتان: سجود عام مستديم وهو سجودها المذكور في آية النحل والحج مع سائر المخلوقات وسجود خاص يتحقق عند محاذاتها لباطن العرش فتكون ساجدة تحته وهو المذكور في الحديث وفي كلا الحالتين لا يلزم من سجودها أن يشابه سجود الآدميين لمجرد الاشتراك في لفظ الفعل الدال عليه. ومن أمثلة ذلك من واقعنا أن مشي الحيوان ليس كمشي الآدمي وسباحة السمك والحوت ليست كسباحة الإنسان وهكذا مع أنهم يشتركون في مسمى الفعل وهما . **أما المسألة الثانية** فكما أنه يلزم من سجودنا التوقف عن الحركة لبرهة من الزمن وهو الاطمئنان الذي هو ركن في الصلاة فإنه لا يلزم بالمقابل أن يتوقف جريان الشمس لتحقيق صفة السجود. لأننا رأينا دلالة عموم لفظ السجود من آيتي الحج والنحل ومن شواهد لغة العرب على أن السجود هو مطلق الخضوع للخالق سبحانه. ومن المعلوم أن السجود عبادة والله قد تعبد مختلف مخلوقاته بما يناسب هيئاتها وصفاتها وطبائعها فكان الانحناء والنزول للآدميين وكان غير ذلك من كيفيات السجود لسائر الكائنات والمخلوقات مع اشتراكهما في عموم معنى السجود الذي هو الخضوع لله تعالى طوعا أو كرها.

ومثال ذلك طواف الرجل حول الكعبة إذ لايلزمه أن يقف عند الحد الممتد من الحجر الأسود ليتحقق حساب طواف كامل إذ أنه حتى لو طاف وواصل مسيره وتجاوز الحد دون الوقوف لاستلامه ، بل أشار بيده فإنه يتحقق له شوط كامل ويكون قد قضى جزءا من شعيرة الطواف دون أن يقف عند الحد الذي ذكرنا ، وكذلك الشمس تجري في الفلك ونراها تشرق وتغرب دائبة ومع ذلك لها سمت أو منتهى يقابلها على وجه الأرض تسجد عنده لله تعالى ويكون ذلك السمت أو الحد مقابلاً في تلك اللحظة لمركز باطن العرش كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية. البدايةوالنهاية (٣٣/١)

ومع أن الشمس و المخلوقات بأجمعها تحت العرش في كل وقت إلا أنه لا يلزم أن تكون المخلوقات بأجمعها مقابلة لمركز باطن العرش لأن العرش كالقبة على السماوات والمخلوقات، والشمس في سجودها المخصوص إنما تحاذي مركز باطن العرش فتكون تحته بهذا الاعتبار كما ذكره ابن كثير في البداية بشأن المحاذاة التحتية للعرش ، وكما قرره ابن تيمية رحمه الله في فتاواه وسائر أئمة أهل السنة من حيث أن العرش كالقبة وهو معلوم من حديث الأعرابي الذي أقبل يستشفع بالرسول ﷺ وقصته مشهورة ثابتة.

وقد يسأل سائل فيقول:"إذاً كيف يكون الله بكل شيء محيط؟" والجواب أن الله عز وجل غير العرش. فالله جل جلاله مستوٍ عليه استواء يليق بجلاله وعظمته إذ أن الله هو المحيط بكل شيء وليس العرش وقد أنكر ابن تيمية على المخالفين الذي يرون أن

العرش مستدير مع استدارة الأفلاك لأنهم تركوا صحيح المنقول من سنة رسول الله ﷺ الذي نص على أن العرش كالقبة وليس كالدائرة. وهذا هو الصواب لموافقته للأدلة الثابتة. وهو ما دل عليه العقل قديما عند المتقدمين وحديثا عند الفيزيائيين بشأن انحناء الكون ولكن لا يلزم من هذا القول باستدارة العرش استدارة كاملة لأن العرش غير السماوات من جهة ولأنه لو كان العرش مستديراً لكانت الشمس والمخلوقات"داخل" العرش لا "تحته" وظرف التحتية أنسب لحال العرش الذي هو كالقبة ولذلك قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى:" لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن " العرش " فلك من الأفلاك المستديرة الكروية الشكل؛ لا بدليل شرعي ولا بدليل عقلي . " ا.هـ . ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى (جـ٦/ص٥٤٦)

وهذا السمت أو الحد أو المنتهى المعبر عنه في الحديث بالحرف "حتى" للدلالة على الغاية والحد فهو كالسمت (ولا أقول هو السمت) الذي نصبه الجغرافيون على الخارطة الأرضية ويسمونه خطوط الطول الممتدة بأعداد متتالية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب فإذا حاذت الشمس سمت أو حد السجدة مع محاذاتها في ذات الوقت لمركز باطن العرش فإنها تسجد سجودا على الكيفية التي لا يلزم منها أن توافق صفة سجود الآدميين وعلى هيئة لا تستلزم توقف الشمس عن الحركة وضربنا على ذلك مثال الطواف بالبيت، أما هذا السمت أو الحد أو المنتهى – كما قال الإمام ابن عاشور في التحرير والتنوير– فإنه لا قبل للناس بمعرفة مكانه. قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) " يس (٣٨)

وقد جعل الموضع الذي ينتهي إليه سيرها هو المعبر عنه بتحت العرش وهو سمت معيّن لا قبل للناس بمعرفته، وهو منتهى مسافة سيرها اليومي، وعنده ينقطع سيرها في إبان انقطاعه وذلك حين تطلع من مغربها، أي حين ينقطع سير الأرض حول شعاعها لأن حركة الأجرام التابعة لنظامها تنقطع تبعاً لانقطاع حركتها هي وذلك نهاية بقاء هذا العالم الدنيوي" ا.هـ. التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠)

والخلاصة أن سجود الشمس على المعنى الذي ذكرناه غير ممتنع أبدا وبما ذكرنا يزول الإشكال إن شاء الله ولا يخالف الحديث صريح العقل إنما قد يخالف ما اعتاد عليه العقل وألفه وهذا ليس معياراً تقاس بها الممكنات في العقل فضلاً عن الممكنات في الشرع لأن الله على كل شيء قدير ولأن العادة نسبية باعتبار منشأ الناس واختلاف مشاربهم ومجتمعاتهم وعلمهم. هذا وبقي في الأحاديث عنه ﷺ فائدتان لطيفتان تزيلان لبساً كثيراً. فالأولى في قوله عليه الصلاة والسلام:" فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش" عند البخاري وغيره. ولم يقل عليه الصلاة والسلام أنها "تغرب تحت العرش" أو "حتى تغرب تحت العرش" وهذا فهم توهمه بعض الناس الذين أشكل عليهم هذا الحديث وهو فهم مردود لأن ألفاظ الحديث ترده. فقوله:"تذهب" دلالة على الجريان لا

دلالة على مكان الغروب لأن الشمس لا تغرب في موقع حسي معين وإنما تغرب في جهة معينة وهي ما اصطلح عليه الناس باسم الغرب والغروب في اللغة التواري والذهاب كما ذكره ابن منظور وغيره يقال غرب الشيء أي توارى وذهب وتقول العرب أغرب فلان أي أبعد وذهب بعيداً عن المقصود.

أما الثانية فهي في قوله ﷺ :" فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا" والشاهد منه قوله ﷺ :" لا يستنكر الناس منها شيئا". وكأن في هذا دلالة ضمنية بأن هناك من الناس ممن يبلغه هذا الحديث من قد يستشكله فيتوهم أن الشمس تقف أو تتباطأ للسجود فينكر الناس ذلك ويرهبونه. إلا أنه صلى الله عليه وسلم أشار في الحديث إلى جريان الشمس على عادتها مع أنها تسجد ولكنه سجود غير سجود الآدميين ولذلك تصبح طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً ويتضح من كلامه ﷺ مفهوم المخالفة الدال على عدم استنكار الناس رغم سجود الشمس واستئذانها وكما قدمنا فإن سجود الشمس لا يستلزم وقوفها وهو اللبس الذي أزاله ﷺ بقوله:" فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا" كما أن العقل يدل على ذلك إذ أن فرق المسافة التي يقطعها الضوء القادم من الشمس إلى الأرض يبلغ حوالي ثمان دقائق وهذا يعني أنه لو حدث خطب على الشمس أو فيها فإننا لا نراه إلا بعد ثمان دقائق من حصوله وعليه فلا يمنع أن تكون الشمس ساجدة في بعض هذا الوقت ولو بأجزاء من الثانية لله تعالى تحت عرشه ونحن لا نعلم عن ذلك لغفلتنا. ولهذا يقول الله تعالى:" وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ " يوسف آية (١٠٥) والإعراض صور متعددة منها الغفلة واللهو عن تدبر الآيات كونية وشرعية ولذلك فإن البعض ممن ساء فهمهم لبعض الآيات والأحاديث إنما أوتوا من قبل أنفسهم بعدم إمعان النظر في آيات الله الكونية وبهجرهم لتدبر كتاب الله .

المبحث الرابع : مجمل القول

أن الشمس تسجد على صفة مخصوصة منفصلة بهيئتها وصورتها عن معتاد التصور ولكن من حيث أصل المعنى داخلة في عموم معنى الخضوع الدال عليه لفظ السجود لغة لا اصطلاحاً كصنيعنا في الصلاة من حيث الهبوط والنزول والطمأنينة والتوقف لبعض الوقت ولو كان سجود الشمس كسجودنا لتعطلت مصالح العباد وفسدت معيشتهم والله تعالى يقول:" لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ "يس ٤٠، والفلك من قول العرب تفلك إذا استدار، وقال ابن عباس : في فلك مثل فلكة المغزل أ.هـ. وفلكة الغزل عندهم كانت مستديرة ولكن.. لا يلزم من سجود الشمس وقوفها لفعل

السجود الوارد في الحديث لما يلي :أ-أن سجود الشمس لا يلزم منه أن يكون كسجود الآدميين من حيث الوقوف ونحوه ب- أنه يحصل السجود منها وهي سائرة، قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: وعن

ابن عباس انه قرأ: والشمس تجري لا مستقر لها، وهي قراءة لابن مسعود أيضا أي: ليست تستقر، فعلى هذا تسجد وهي سائرة.

(ابن جني. أبو الفتح عثمان (١٠٠٢) هـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ٢١١/٢).

والله أعلم

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، حمدا يليق برب الأرض والسماوات ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير البريات ، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أهل الفضائل والمكرمات. أما بعد

فكل عمل بشري لا بد أن يكون عرضة للخطأ والنقصان، حتى يثبت ثباتاً قطعياً أن الكمال عزيز ، ولا يكون إلا للكامل سبحانه وتعالى ..

وبحثي هذا المتواضع إنما هو عمل بشري معرض للخطأ و النقص، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ، والله بريء من ذلك ورسوله.

يا ربِ صلي وسلم دائما أبدا ** على حبيبك خير الخلق كلهم

أهم النتائج

أن الشمس تسجد على صفة مخصوصة منفصلة بهيئتها وصورتها عن معتاد التصور ولكن من حيث أصل المعنى داخلة في عموم معنى الخضوع الدال عليه لفظ السجود لغة لا اصطلاحاً كصنيعنا في الصلاة من حيث الهبوط والنزول والطمأنينة والتوقف لبعض الوقت ولو كان سجود الشمس كسجودنا لتعطلت مصالح العباد وفسدت معيشتهم والله تعالى يقول:" لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " ، والفلك من قول العرب تفلك إذا استدار، وفلكة الغزل عندهم كانت مستديرة ولكن .. لا يلزم من سجود الشمس وقوفها لفعل السجود الوارد في الحديث لما يلي:

أ–أن سجود الشمس لا يلزم منه أن يكون كسجود الآدميين من حيث الوقوف ونحوه

ب– أنه يحصل السجود منها وهي سائرة ، قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: وعن ابن عباس انه قرأ: والشمس تجري لا مستقر لها، وهي قراءة لابن مسعود أيضا أي: ليست تستقر، فعلى هذا تسجد وهي سائرة. والله أعلم

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت.). *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية*. د. ن.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. (د.ت.). *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (١٩٨٨م.). *البداية والنهاية حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه*. (ط ١). الكويت: دار إحياء التراث العربي.

ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (د.ت.). *تفسير القرآن العظيم*. المحقق: سامي بن محمد سلامة. (ط ١). دار طيبة للنشر.

ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (١٤٠٦هـ.). *تقريب التهذيب*. نسخة : محمد عوَّامة . (ط ١). طبعة دار الرشيد بحلب.

الأصبهاني، أبوبكر محمد بن الحسن بن فورك. (١٩٨٥م.). *مشكل الحديث وبيانه*. تحقيق: موسى محمد علي. بيروت: عالم الكتب.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله. (د.ت.). *صحيح البخاري*. القاهرة: دار الشعب.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. (د.ت.). *المستدرك على الصحيحين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة. (د.ت.). *تأويل مختلف الحديث*. يروت: دار الجيل بيروت.

الذهبي شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. (د.ت.). *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*. تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود. د. ن.

القاضي عياض، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي. (١٩٩٨م.). *إكمال المعلم شرح صحيح مسلم*. القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

القرطبي، أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ. (د.ت.). *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. د. ن.